تاريخ الدولة العربية الاسلامية
(العصر الأموي٤١ – ١٣٢ هـ)

تمهيد

اهمية العصر الاموي

العصر الاموي من العصور المهمة التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية فهو العصر الوحيد الذي اتسعت خلاله رقعة الدولة العربية، فوصلت الى حدود الصين في الشرق والى قريب من القسطنطينية في الشمال والى قريب من منابع النيل ف ي الجنوب والى بواتييه في جنوب فرنسا في المغرب، يضاف الى هذا الاتساع في رقعة الارض فان الامويين تمكنوا بقوة وتصميم ان يحافظوا على وحدة هذه الرقعة.

اعتمد الامويين على العرب وكانوا يعتقدون بان العرب وحدهم هم الذين يمكنهم النهوض في كافة ميادين الحضارة.

وقد اعتمد العباسيون على العناصر غير العربية مما ادى الى نتائج سلبية قاسية عملت على تدمير الامة العربية وتفتيتها الى عدة اقسام ودويلات واهمل الجناح الغربي من الدولة العربية الاسلامية بصورة نهائية منذ العصر العباسي الاول وظل كذلك حتى نهاية العصور الوسطى اضافة الى سعي الامويون الى كل الميادين الفكرية والمعمارية والادارية وشجعوا الحركة العلمية.

فضلا عن انهم عربوا مصالح الدولة وادارتها الحساسة. ان استمرار الدولة قوية وطيدة الاركان لن يكون ولن يتم الا بتعزيز الحركة العلمية والحضارية وتقويتها.

تغافل الامويون عن اشياء كثيرة عن قصد او بغير قصد ادت في النهاية الى احباط مشروعهم الحضاري والسياسي على حد سواء. من ذلك:

١- انهم عجزوا كل العجز عن فهم اساسات ومتطلبات الحكم وقيادة الدولة فسقطوا في مستنقعات كبيرة لم يتخلصوا منها الا بسقوط دولتهم.

٢- عجزوا عن اقامة العدل وأركانه بين الناس.

٣- عجزوا عن فهم الحرية التي نادى بها الاسلام.

٤- ذهبوا في سعيهم الحثيث الى توسيع املاكهم والاستئثار بخيرات البلاد على حساب الحق والحاجة من اهل البلاد ولما حاول عمر بن عبد العزيز اصلاح ذات البين واعادة الامور الى سبيلها القويم تامروا عليه وقتلوه دون ادنى رحمة او شفقة.

٥- وقعوا في خطأ كبيرة عندما جعلوا من ال بيت رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) اعداء لهم فتوسعت شقة الخلاف بين الطرفين ووصل الامر بهم ان يقترفوا ابشع جريمة نكراء عرفها

التاريخ فقد قتلوا ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وعلى ال بيته) الامام الحسين(عليه السلام) وسبوا اهل بيته. وفضلا عن سفكهم الدماء. واغتصاب الحقوق وهذا ما ادى الى حدوث ثورات وجرت احداث.

٦- غلبت عليهم الميول العصبية القبلية في معظم الاحيان. فانقسم الناس الى عصبيتين متناحرتين هما العصبية اليمانية والعصبية القبلية الامر الذي ادى في النهاية الى نتائج سلبية واصبحت احد العوامل التي ادت الى سقوط دولتهم.

كان معاوية ابن ابي سفيان قد أعدّ ومنذ فترة سبقت خلافة الامام علي (ع) مقدمات الخلافة لنفسه في بلاد الشام وما ان استلم الامام علي (ع) الخلافة حتى عزله عن الشام ولم يرضَ ان يقره عليه لحظة واحدة. وكان حصيلة هذا النزاع هو ان تقاتل جيش العراق وجيش الشام في صفين وكان الانتصار فيها لجيش الإمام (ع)، لولا مخادعة معاوية التي احدثت تمرداً في جيش الامام علي (ع) ونتيجة الضغط الكبير على الامام علي (ع) من قبل جيشه رضخ لتحكيم ابي موسى الأشعري وعمرو بن العاص.

وبعد استشهاد الامام علي (ع) وتولية الامام الحسن (ع) الخلافة، تظافرت عدة عوامل أدت الى ان يقبل الامام الحسن (ع) الصلح، حيث في الواقع لم يصالح وإنما فُرِضَ الصُلح عليه، حيث تظافرت العوامل الخارجية والداخلية بحيث أوجدَتْ وضعاً جعل الصُلح أمراً ضرورياً.

فمن ناحية الوضع الخارجي، لم تكن الحرب الاهلية الداخلية في صالح الدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة، لأن دولة الروم الشرقية التي كانت قد تلقت ضربات قوية من الاسلام كانت تنتظر الفرصة المناسبة لضرب بيضة الاسلام في تلك الفترة، وعندما وصل نبأ اصطفاف جيش الامام الحسن عليه السلام وجيش معاوية امام بعضهما البعض الى قادة الروم، اعتقدوا انهم حصلوا على افضل فرصة لتحقيق اهدافهم وانطلقوا بجيش كبير للهجوم على المسلمين. فهل يبقى هناك خيار أمام شخصية مثل الحسن عليه السلام حملت أعباء الحفاظ على الاسلام غير الصُلح والهدنة؟

أما من ناحية الوضع الداخلي فكان من العوامل التي دفعت الامام الحسن عليه السلام الى قبول الصلح، حيث افتقد المجتمع الاسلامي للجبهة الداخلية لموحدة وقلة الاستعداد النفسي للقتال وقلة الانسجام بين افراد المجتمع الاسلامي، حيث كان مؤلّفاً من شرائح وتيارات مختلفة ومتناقضة لا يجمعها أي تفاهم وتنسيق.

ويمكن إعطاء صورة مختصرة لواقع المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت بما يلي:-

١-أنصار الامام الحسن (ع) المخلصون وهم قلة قليلة جداً.

٢-مُحَكِمَة او خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله بغضاً بمعاوية لا حباً بالامام الحسن (ع).

٣-مجموعة من اصحاب الفتن والطمع بالغنائم.

٤-مجموعة شكاكون لا يرون للإمام الحسن (ع) أي فضيلة على معاوية.

٥-وقسم من هذه الجماعات اصحاب عصبية قبلية اتبعوا رؤساء قبائلهم ولا يرجعون الى دين.

فضلاً عن ذلك، كان هدف معاوية وأعوانه هو تصفية الامام (ع) او أسره، وبذلك يربح المعركة اجتماعياً وعسكرياً.

من ناحية اخرى، كان معاوية مستعد لتقديم اي نوع من الامتيازات والتنازلات للحصول على السلطة، لدرجة انه أرسل صحيفة بيضاء مختومة الى الامام (ع) كتب فيها:- ((ان اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهي لك)).

وعلى الرغم من ان نصوص معاهدة الصلح مبعثرة في كتب التاريخ، يمكن تكوين صورة واضحة من هذه البنود:-

١-تسليم الأمر، اي الخلافة الى معاوية على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص).

٢-ان تكون للإمام الحسن (ع) الخلافة من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الامام الحسين (ع) وليس لمعاوية ان يعهد بها الى أحد.

٣-أن يترك سب أمير المؤمنين (ع) وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

٤-استثناء ما ف بيت المال وهو خمسة ملايين درهم وتكون بحوزة الامام الحسن (ع) وان يفضل بني هاشم في العطاء، وان يوزع في اولاد من قتل مع أمير المؤمنين (ع) يوم الجمل وصفين مليون درهم، وان يجعل ذلك من خراج دار ابجرد.

٥-الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الاسود والاحمر.

ولقد حقق الامام الحسن (ع) من وراء هذا الصلح مجموعة من المكاسب التي كانت في مقدمتها حفظ بيضة الاسلام والحفاظ على اصحابه، إلا فإذا وقعت الحرب لاتت على كل شيء يطلع اليه بنو أمية.

وبعد تنازل الامام الحسن (ع) عن الخلافة، أمسك معاوية بن ابي سفيان بزمام الحكم في شوال سنة (٤١هـ)، وحوَّل الخلافة الى ملك له ولعائلته وصرح بشكل صريح بعدائه للأمة الاسلامية واعترف بعدم رضى الأُمة به حاكماً بقوله:- ((والله ما وليتها – اي الخلافة – لمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكن جادلتكم بسيفي)).

فقد شرع في تشويه كل القيم الاسلامية التي حاول الامام علي (ع) احيائها وذلك بتطبيق الشريعة الاسلامية وتقديم النموذج الحي للقيادة الكفوءة والحكيمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحارب كلمن يمُتّ بولائه لأهل البيت عليهم السلام وهدم كل ما بناه الامام علي (ع) في الامة الاسلامية من قيم، فتفقد ارادتها ويموت ضميرها لئلا تكون قادرة على مواجهة اهواء الحكام المخالفة للدين الحنيف، وقد أعلن من اول خطوة ان الهدف الاساس هو استلام زمام الحكم حتى لو أُريقت من أجله دماء المسلمين فأعلنها بكلمته المعروفة:- ((والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، وإنما قاتلتكم لأتامر عليكم)).

وهكذا قامت الدولة الأموية واستمرت تسعين عاماً تقريباً، فمن هو معاوية؟ وكيف كان اسلامه؟ وما هي ابرز معالم سياسته التي اتبعها إبان حكمه وسار على نهجه جميع من تلاه من الحاكمين؟

نسب معاوية:-

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1].

إسلامه:-

أسلم معاوية بعد فتح مكة، بينما أسلم أبواه يوم الفتح وكانوا من المؤلفة قلوبهم، ولم يشهد حنيناً فلم تذكر المصادر التاريخية المعتمدة إلا ما ورد عن ابن حجر في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٣، ص٤٥١) [2].

أبرز معالم سياسة معاوية:-

أما أبرز معالم السياسة التي اتبعها معاوية في تنفيذ ما يصبو اليه من تردي الاوضاع عقائدياً واخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً تتمثل في:

اولاً: سياسته الاقتصادية

كان تصرف معاوية في جباية الاموال وانفاقها خاضعاً لرغباته وأهوائه، فهو يهب الثراء الكبير للمؤيدين له ويحرم معارضيه من العطاء ويأخذ الاموال والضرائب بغير حق حتىّ شاع الفقر والحرمان عند الأكثرية الساحقة من المسلمين وهذه بعض الخطوات الرئيسية في سياسته الاقتصادية:

---

(١) ابن حزم ، ؟نسب قريش ، ص٢٥ ، أبي الكلبي الانساب ، ص١٠٠، البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١، ص٢٧٠

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص٤٥١.